سايمون هندرسون يكتب:\'الملك\' الجديد للمملكة العربية السعودية

سايمون هندرسون

كان بالإمكان التنبؤ بعملية الانتقال الأخيرة في السعودية، بعد وقت قصير من اعتلاء الملك سلمان العرش في أعقاب وفاة أخيه غير الشقيق الأكبر سناً الملك السابق عبد الله في كانون الثاني/يناير 2015. ففي غضون ثلاثة أشهر من تولّيه العرش، ثبّت الملك سلمان نجله الأمير محمد، الإبن الأكبر لزوجته الثالثة، كخلفه المقصود في النهاية. وكان السؤال الوحيد متى ستحدث عملية الانتقال. وها هي قد حدثت الآن، على الرغم من أنها تطرح أسئلة جديدة: متى سيصبح الأمير محمد بن سلمان ملكاً في الإسم وتحت أي ظروف؟ من الصعب تخمين هذه الأجوبة، ولكن لطالما كان الكثيرون ينظرون إلى سلفه المخلوع الآن، محمد بن نايف، على أنه [يشغل منصبه] لفترة زمنية مؤقتة. بالإضافة إلى ذلك، على الرغم من كونه وزيراً للداخلية من ذوي الخبرة ورئيس جهاز مكافحة الإرهاب في المملكة، إلّا أنّ المرارة كانت تغمره منذ التجربة التي مرّ بها في عام 2009 عندما استقبل جهادي كان يُفترض أنه يريد الاستسلام ولكنه كان يحمل صاعقاً للتفجير؛ وقد انفجر هذا الصاعق.

إن صحة الملك سلمان هي الأخرى غير مؤكدة. وحيث يبلغ من العمر واحد وثمانين عاماً فهو يمشي

بالاستعانة بعكاز، وفي لقاءاته مع الزعماء الأجانب يجلس أمام شاشة حاسوب لتذكيره بالنقاط التي يتناولها. وبعد أن كان سلمان يُعرف بسمعته كذاكرة مؤسسية لعائلة آل سعود، إلّا أنه غالباً ما يعرض حالياً مظهراً محيّراً، وأخذ يعتمد على نحو متزايد على إبنه الأمير محمد للحصول على المشورة، حيث يعتبره على ما يبدو كتجسّد جديد تقريباً للملك عبد العزيز، المعروف بابن سعود، والد الملك سلمان ومؤسس المملكة العربية السعودية عام 1932.

وخلافاً لأبناء الملك سلمان الآخرين، وأحدهم حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة أكسفورد، لم يتم إرسال محمد بن سلمان للدراسة في الخارج. كما أن الأمير بن سلمان البالغ من العمر 31 عاماً، يرتدي الصنادل بدلاً من أحذية "غوتشي" التي يفضّلها بعض أبناء عمومته، ولا يتكلم الانجليزية بطلاقة. ويُقال إنه يسمح بتحدي وجهات نظره - ولكنه لا يغيّرها. وقد تكون قساوته أكبر مصادر قوته، أو نقاط ضعفه. وهناك اقتناع راسخ بالحكاية المتعلقة بـ "قصة الرصاصة". وكما قيل (لكاتب هذه المقالة) من قبل أحد أبناء عمومة ولي العهد، بأن محمد بن سلمان كان قد سعى، بعد مغادرته جامعة الرياض، إلى تأسيس نفسه في مجال الأعمال التجارية. وفي مرحلة ما، كان في حاجة إلى قاضي للتوقيع على إحدى الصفقات. وعندما رفض القاضي القيام بذلك، أخرج محمد بن سلمان رصاصة من جيبه، وأخبره بأن عليه التوقيع. ونفذ القاضي الطلب لكنه اشتكى إلى العاهل السعودي آنذاك الملك عبد ا، الذي أبعد محمد بن سلمان من بلاطه لعدة أشهر فقط.

هذا هو الشاب الذي هو في الواقع رجل التواصل الرئيسي بين بلاده والبيت الأبيض تحت رئاسة ترامب، فضلاً عن كونه مهندس الحرب الفاشلة في اليمن التي وصلت إلى طريق مسدود، وهو الأمير الرئيسي في السعودية الذي يعمل على استعادة جزيرتين في البحر الأحمر من مصر، والرجل المتشدد في الخصام الحالي لدول الخليج مع قطر. ويقال إنه مهووس بالخطر الذي تشكله إيران وله نظرة إيجابية نحو فتح علاقات مع إسرائيل، يوماً ما. وفوق كل ذلك، هو الحكم الرئيسي للسياسة السعودية بشأن النفط، الذي تَقلّص سعره إلى درجة تثير قلق الرياض، وأصبح أكثر ميلاً للانخفاض مما يعرقل الطرح العام المبدئي الرائد لشركة "أرامكو" السعودية.

وبالإضافة إلى الأدوار الكثيرة التي سبق ذكرها، فإن محمد بن سلمان هو الشخصية الرائدة في «الرؤية 2030»، التي هي خطة المملكة لإصلاح اقتصادها ومجتمعها. ولا بد من تشجيع هذا التغيير، على الرغم من ضخامة الحواجز الثقافية وانخفاض عائدات النفط مما يعني أن التمويل يمثل مشكلة.

إن حصول الأمير بن سلمان على 31 صوتاً مقابل 3 أصوات - كما زعمت التقارير - لصالح تعيينه الجديد من قبل أعضاء هيئة البيعة، وهو مجموعة رئيسية من العائلة المالكة، يشير إلى أن معارضة آل سعود الواسعة لدوره الجديد قد لا تكون كبيرة كما كان متوقعاً. ولا يزال عدد قليل جداً من أعمامه [أعضاءً] في هيئة البيعة، وأولئك الذين لا يزالون على قيد الحياة ممثّلين في الغالب من قبل أبنائهم الأكبر سناً. (في حالة واحدة على الأقل، صوّت الإبن بنعم، بينما كان والده سيصوّت بلا).

وتشير سلسلة من التعيينات الجديدة الأخرى التي تشمل أمراء فرديين، في الثلاثينات من عمرهم أيضاً إلى حدوث تحوّل كامل في الأجيال لنظام كانت تسيطر عليه العائلة المالكة سابقاً التي تتميز بالتقدم في السن. بالإضافة إلى ذلك، تُقر التعيينات الجديدة ولو صوريا إرث الأسلاف. فقد تم نقل وزارة الداخلية إلى ابن شقيق الأمير محمد بن نايف. كما أن أحد الأشخاص الآخرين الذين تمت ترقيته هو خالد بن بندر - ابن السفير السعودي السابق في واشنطن الأمير بندر بن سلطان - الذي أصبح السفير الجديد في ألمانيا. (لقد تم بالفعل تعيين الشقيق الأصغر سناً لمحمد بن سلمان الذي وصل مؤخراً إلى العاصمة الأمريكية، [سفيراً في الولايات المتحدة]). ومن التغييرات الأخرى المتوقعة هو مصير الأمير متعب بن عبد ا، حليف الأمير محمد بن نايف، الذي لا يزال رئيس "الحرس الوطني السعودي"، وهو قوة شبه عسكرية ضخمة وقادرة، تعمل الولايات المتحدة على تدريبها وتجهيزها [بالمعدات].

إن تعيين محمد بن سلمان ولياً للعهد يجب أن يؤكد على تحسّن علاقة العمل مع واشنطن في أعقاب الضغوط التي تعرضت لها خلال إدارة أوباما، وعلى رأسها إيران والاتفاق النووي. ولكن لا تزال هناك خلافات حادة بين المواقف الأمريكية والسعودية حول قضايا معيّنة، بما فيها اليمن - وعلى ما يبدو، قطر أيضاً. ولن تكن العلاقات المستقبلية متسقة بالضرورة.